
منظمة المرأة العربية
Arab Women Organization
يسرا
ماردينى
بطلة سورية

يسرا

ماردينية

بطلة سورية

يسرا ماردِيني.. بطلة سورية
القاهرة، 2018
تأليف: د. هند الشلقاني
رسوم: حنان الكرارجي
الإخراج والتنسيق: بسمة زكريا
المراجعة اللغوية: نهى شعبان وعبد المنعم سمير
قامت بمراجعة القصة والأنشطة للتأكد من ملاءمتها للمرحلة العمرية المستهدفة (الأطفال فوق 10 سنوات)، د. سندرا وسيم السيسي، مدرس مساعد الطب النفسي، القصر العيني.
إشراف عام: منى قاسم

يسرا ماردِيني

بطلة سورية

تمهيد

هذه القصة مأخوذة عن وقائع حقيقية مرت بها بطلة السباحة السورية الشابة يسرا ماردیني التي اضطرتها ظروف الحرب إلى الفرار من وطنها في رحلة ملحمية سجلت خلالها بطولة نادرة حين ساهمت في إنقاذ 20 لاجئًا من الموت غرقًا في البحر بين سواحل تركيا واليونان، ولم تمنعها ظروف اللجوء الصعبة من أن تتألق في الأولمبياد الدولية عام 2016.

وانطلاقًا من إيمان منظمة المرأة العربية بأن النشء هم المستقبل وأن ما نغرسه فيهم من قيم ومعان ستجني ثماره الثقافة العربية في زمن قريب، يأتي هذا الكتيب كإصدار أول في سلسلة كتيبات تنتجها المنظمة وتوجهها إلى الأطفال والناشئين. تدور هذه الكتيبات حول نماذج مختلفة للفتيات والنساء المعاصرات اللائي سطرن بطولات ملهمة وإنجازات كبيرة، أثرت في مسار مجتمعاتهن، وأثبتت جدارة الخبرة النسائية لتكون قدرة ومرجعًا ومصدر إلهام للفعل الإنساني بشكل عام. وذلك للتعريف بهن لدى النشء في الوطن العربي وترسيخ قيم احترام المرأة وتقدير دورها لديهم.

ولإعداد الكتيب الذي بين أيدينا، تم الرجوع إلى عدة تقارير إخبارية وحوارات حية أجرتها وسائل الإعلام الدولية مع البطلة الشابة يسرا ماردیني التي تعد هذه القصة بمثابة تحية لها ولرسالة الأمل التي حملتها إلى العالم.

منظمة المرأة العربية
ARAB WOMEN ORGANIZATION

"تعلمت أن كل منا يولد بكلمة، بحكمة، يكون عليه أن يحملها إلى العالم ... وأن الله يهب كل منا معجزة وربما معجزات نعيشها في حياتنا الخاصة وقد نشارك فيها آخرين...

وفي هذا الكتاب، تجدون قصتي حول الأمل... وأشاركم اللحظات الفارقة والقوة التي يمنحها لنا الإيمان حتى في أشد حالات الضعف...

وأهمس إليكم: أنا أعيش بأملي في خروج وطني سوريا من محنته وبإيماني بأنني سأعود يوماً وأشارك في إعادة بناء هذا الوطن العزيز... وربما ألقاكم هناك، فلنتشبث بالأمل".

يسرا ماردیني
سفيرة النوايا الحسنة للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين

UNHCR
المفوضية السامية للأمم المتحدة
لشؤون اللاجئين

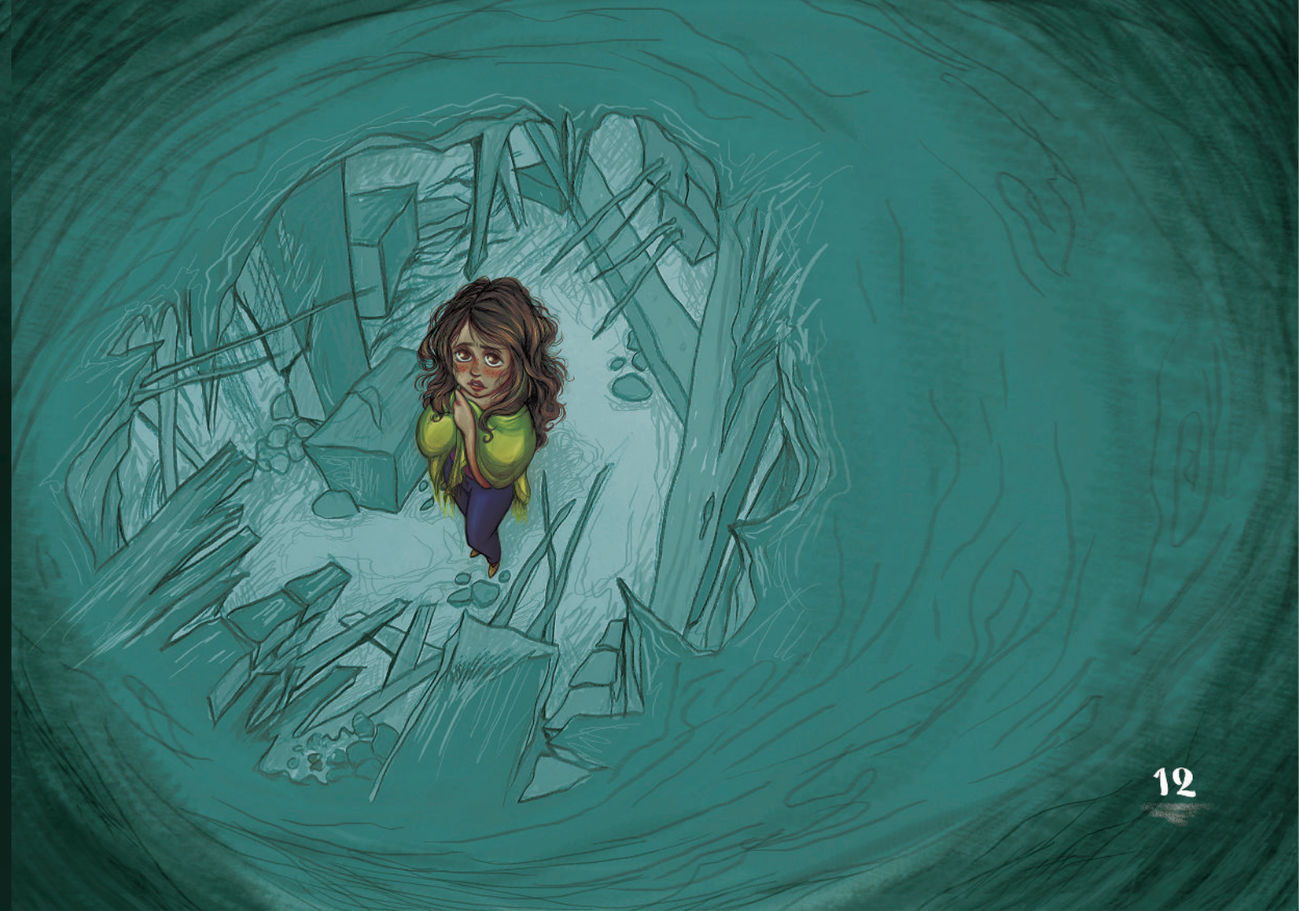


يسرا ماردِيني فتاة جميلة، تنتمي
للجمهورية العربية السورية. عاشت يسرا
حياة هادئة سعيدة في منزل مستقر في
العاصمة السورية دمشق وحظيت بعائلة
طيبة وكثير من الأصدقاء.



وكأي فتاة من عمرها، كان أهم ما يشغل يسرا هو الدراسة والمرح مع الأصدقاء، واستخدام الهاتف الذكي والغوص في عالم الإنترنت الواسع.

لكن يسرا كانت تحمل حباً خاصاً لرياضة السباحة التي كانت تمارسها منذ أن كانت طفلة صغيرة في الثالثة من عمرها بتشجيع من والدها الذي يعمل مدرباً لهذه الرياضة. كانت تتدرب بانتظام في نادٍ قريبٍ وتحلم أن تصبح سبّاحة دوليةً شهيرةً.



في عام 2011 شهد وطنها سوريا ثورة ضد السلطة الحاكمة، وتطور الصراع السياسي وأصبح حربًا كبيرة مدمرة تشترك فيها أطراف كثيرة من داخل البلاد وخارجها.

تهدمت المنازل على سكانها وكذلك المدارس
والمستشفيات والمباني والمنشآت. وتعرض العديد من
الناس للقتل والتشريد، واضطر الملايين إلى هجرة المدن
التي يعيشون فيها إلى مدن أخرى، بل وإلى مغادرة
بلادهم سوريا إلى بلاد أخرى هربًا من ويلات الحرب.

وقد ظلت الأوضاع في سوريا تسوء عامًا بعد عام. وفي
عام 2015 كانت يسرا في عامها السابع عشر، وتعيش
العام الرابع من هذا الصراع العنيف الذي لا يهدأ. تعاني
من الخوف والقلق على مصيرها ومصير أسرتها، خاصة
بعد أن تعرض منزلهم للقصف، وكذلك النادي الذي
كانت تمارس فيه رياضتها المحببة؛ مما أدى لتخريب
حمام السباحة ووفاة عدد من الرياضيين. حينها
أحست يسرا أنها خسرت استقرارها وحلمها وكل شيء.



شاركت يسرا أسرتها في اتخاذ قرار مغادرة الوطن واللجوء إلى بلاد أخرى بحثًا عن الأمن، حاملين في قلوبهم أمل العودة بعد انتهاء هذه الحرب القاسية.

كانت يسرا واعية أن الخروج من البلاد في ظروف الحرب أمرٌ صعب للغاية لأسبابٍ كثيرة. فالأطراف المتحاربة قد تُلقي القبض على الهاربين وتعاقبهم. كذلك، فإن الدول الأخرى لا تسمح بدخول المتسللين إليها.

والهاربون لا يعرفون أفضل الطرق التي توصلهم إلى ملاجئ آمنة. ولذلك فهم مضطرون للاستعانة بعصابات متخصصة في التهريب يدفعون لها أموالاً ضخمة كي ترشدهم إلى طرق الخروج. وقد تحتال هذه العصابات على اللاجئين أو تفشل في تهريبهم.

ورغم ذلك، لم يكن أمام يسرا وأسرتها بديلاً عن هذه المخاطرة تحت ضغط الحرب الشرسة.

وفي 12 أغسطس 2015، بدأت أسرة يسرا رحلة الهروب الخطيرة. وقد قسموا أنفسهم للخروج على دفعتين. فسافرت يسرا وشقيقتها الكبرى سارة أولاً مع أبناء عمومتهما ومجموعة أخرى من اللاجئين.

كانت يسرا خائفة على حياتها وعلى حياة شقيقتها سارة، وتفكر كثيرًا في أمها التي ودعتهما بالدموع على أمل أن تلتحق بهما فيما بعد.



ووفقًا لخطة الهروب، قضى اللاجئون أربع ليال في غابات جنوب تركيا بلا طعام ولا ماء، ثم نقلهم المهربون المسلحون بعد ذلك إلى زورق صغير ليبحر بهم عبر البحر المتوسط إلى اليونان.



زورق حمولته 6 أشخاص فقط، عبأه طمع المهربين
الذين يتقاضون مبلغًا ماليًا كبيرًا عن كل شخص؛
بعشرين لاجئًا من بينهم يسرا وسارة.

ووسط قلق ومخاوف الراكبين، بدأت مسيرة الزورق
في المياه المالحة العميقة، والكل ساكت حزين
لفراق بلاده والسفر إلى المجهول.

بعد نحو 30 دقيقة فقط، توقف الزورق فجأة وبدأ
يرتج وراح الماء البارد يتسلل إلى داخله، وساد فزع
رهيب بين الراكبين.



حينذاك أخبرهم المهرب أن الحمولة الثقيلة هي سبب العطل وأن الزورق يجب أن يتخفف من حمولته وإلا سينقلب في الماء.

كان على بعض الركاب أن يغادروا الزورق لتخف الحمولة. ولكن من باستطاعته اتخاذ هذا القرار الصعب وسط الموج العالي المتلاطم والماء العميق؟!

فكرت يسرا للحظات أنه من الغريب أن يُكتب لها، وهي السبَّاحة الماهرة، أن تموت في الماء.

وفجأة رأت شقيقتها سارة تقفز إلى البحر لتكون أول من يتخذ القرار الصعب. لم تتردد يسرا وقفزت وراء شقيقتها الكبرى إلى الماء. وبدأتا تسبحان بيد وتسحبان الزورق المعطل باليد الأخرى. ثم تبعتهما إلى الماء سيدة أخرى.

ثلاث سيدات وثلاث ساعات ونصف الساعة في رحلة وعرة يصارعن فيها الموج الشاهق والماء البارد، ويصاحبهن الإرهاق والخوف.



كانت يسرا تشعر أنها أمام التحدي الحقيقي الذي أعده القدر لها منذ طفولتها عندما بدأ والدها في تدريبها على السباحة. الغريب أنها لم تعد خائفة كما كانت منذ أن بدأت هذه الرحلة الخطيرة. بل حل الإحساس بالمسئولية محل الخوف. وكان من بين الركاب طفلٌ صغيرٌ. نظرت إليه وابتسمت، حيث شعرتْ أنها مسئولة عن هذا الصغير وأن ابتسامتها ستخفف فزعه.

هي نفسها لم تكن تتصور أن بإمكانها أن تفعل هذا، ربما دفعتها شجاعة شقيقتها الكبرى التي حذرتها من النزول إلى الماء ثم كانت أول من نزل. ربما حمّسها عشقها للسباحة، وربما هو حس المسئولية الذي يولد في النفس في أوقات الخطر ليحول إنسان عادي إلى بطل عظيم. أو ربما هذا كله هو ما حمل يسرا ماردیني الفتاة السورية الشابة إلى خوض غمار البحر الأبيض المتوسط لمدة 220 دقيقة رأت فيها شريط حياتها القصيرة.

وأدركت أن لكل شيء معنى وغاية وأن شغفها الكبير بالسباحة يتحول اليوم إلى خدمة تقدمها للحياة.

رغم الإرهاق والألم الشديد، لم تنكسر عزيمة يسرا بل ظلت تتقدم وتشق المياه الباردة، وتحارب الموج العالي الذي بدا وكأنه أشباح غاضبة. يد متشبثة بحافة القارب بحمولته من البشر الخائفين ويد تضرب المياه وتسحب الجميع إلى الأمام.



صلة قوية ولدت في هذه
اللحظات العصيبة لتربط بين يسرا
ورفاق القارب الذين لم تكن تعرف
أيّ منهم في السابق، صلة مثل صلة الدم، جعلتها
تشعر أنهم منها. إن لم تجمعهم رابطة القرابة،
فقد جمعتهم رابطة الوطن ورابطة الإنسانية
ورابطة الحياة التي يتهددها الغرق في كل لحظة.
قالت يسرا في نفسها: "أنا سباحة ماهرة، أنا قادرة
على إنقاذ الجميع والخروج من هذه الأزمة، فقط
يجب أن أتحمل". بهذا الأمل واصلت رحلتها الشاقة.

وكافحت الألم الشديد الذي اندلع في ذراعيها وسائر جسدها. وكافحت رغبتها الملحة في ارخاء جفنيها والتوقف عن السحب والسباحة. كافحت كل هذه الآلام وتحملت آملة في أن تصل بالقارب إلى بر النجاة.

وأخيرًا، وبعد عدة ساعات، وصل القارب إلى شاطيء الجزيرة اليونانية. لقد نجا الجميع. التقطت يسرا أنفاسها وسارعت إلى الرمل الجاف وراحت تحمد الله على النجاة.





ورغم أن رحلة العناء لم تكن قد انتهت بعد، إلا أن هذه الرحلة البحرية كانت بداية جديدة ليسرا التي أعادت اكتشاف نفسها وتبلورت شخصيتها من فتاة مرحة لاهية إلى فتاة لديها قدرة كبيرة على التحدي وحس كبير بالمسئولية.

واصل اللاجئون رحلة الهروب الشاقة عبر خمس دول أوروبية ، فعلى مدار 25 يومًا، انتقلوا من اليونان إلى مقدونيا ثم صربيا والمجر والنمسا - سيرًا على الأقدام وبالقطار والحافلة - قبل وصولهم إلى ميونخ ثم إلى برلين في ألمانيا.

وفي كل محطة مروا بها، قوبل اللاجئون بالحذر وظن البعض أنهم قادمون من بلاد أقل حضارة من بلادهم. وكان هذا تحد جديد ليسرا التي شعرت بالحاجة لأن تعبر عن نفسها وعن وطنيتها وحضارتها بطريقة تفرض احترام الآخرين.

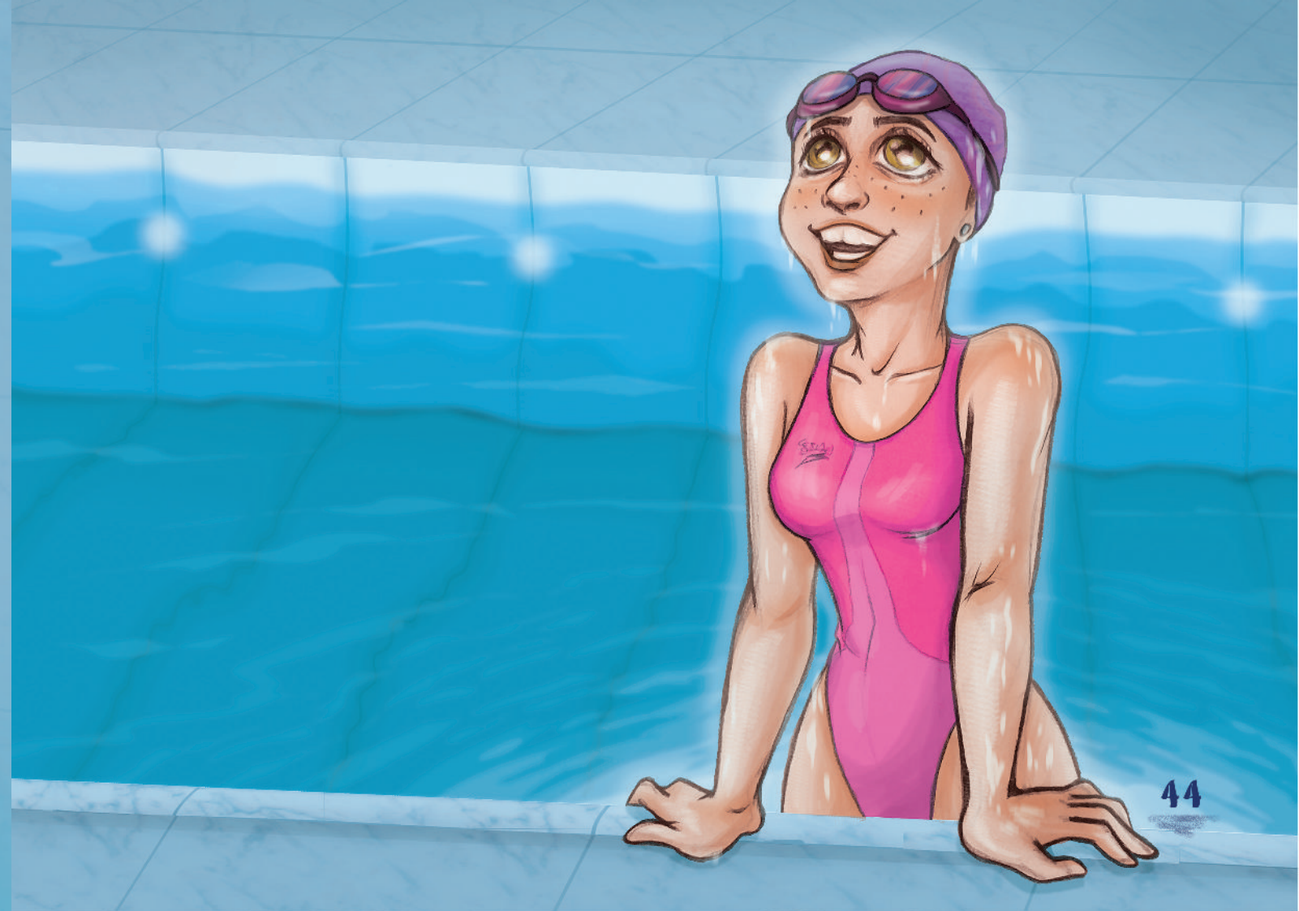
وأخيرًا، في ألمانيا، حيث انتهت الرحلة، عاشت يسرا مع شقيقتها وباقي الهاربين في مخيم للاجئين. ورغم صعوبة الحياة كان أهم شيء بحثت عنه يسرا هو "حمام سباحة" قريب تمارس فيه رياضتها المفضلة.

التقت يسرا مترجمًا مصريًا يعمل في خدمة اللاجئين الموجودين في ألمانيا. وعندما عرف بقصتها وشغفها بالسباحة قام بتقديمها إلى أحد أقدم أندية السباحة في برلين. وقد أثار أداء يسرا الفائق إعجاب مدربي السباحة بالنادي وقبلوها على الفور.





وكانت المفاجأة أن أعلنت اللجنة الأولمبية الدولية بعد ذلك بشهور قليلة أن دورة الألعاب الأولمبية لعام 2016 والتي تعقد في أغسطس في مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية سوف تشهد - ولأول مرة- مشاركة فريق من اللاجئين من دول مختلفة يحمل "رسالة أمل لجميع اللاجئين في عالمنا".

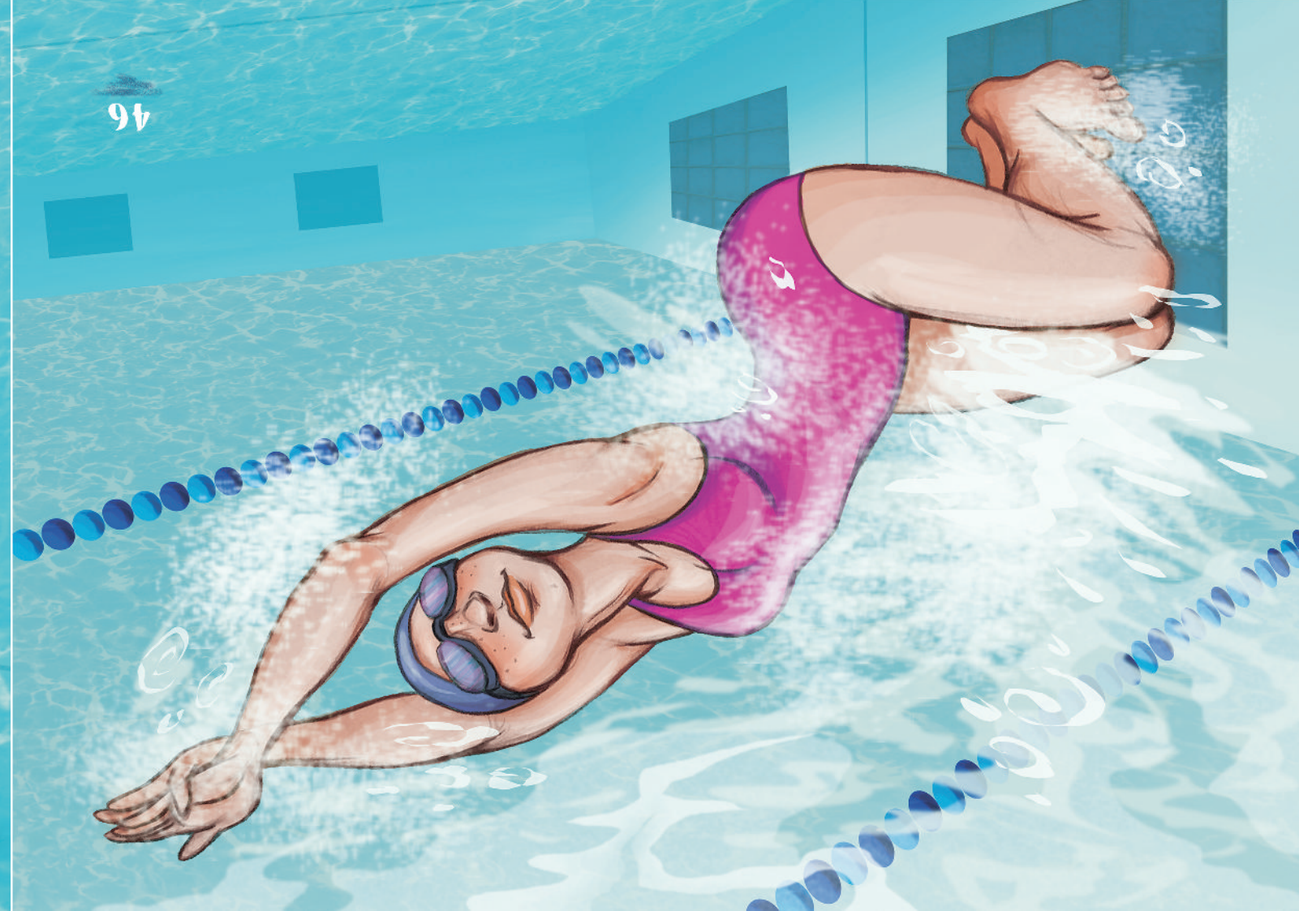


إن حلم يسرا في أن تصبح بطلة دولية شهيرة في السباحة، لهذا الحلم الذي ظنت أنه مات مع ظروف الحرب القاسية في بلادها والرحلة الخطيرة التي قامت بها وصولاً إلى مخيم اللجوء في ألمانيا، لم يمت، بل تحقق بالشكل الأروع، وكأنه هدية إلهية تكافئ بطولة يسرا وصمودها وإصرارها على التقدم والنجاح رغم أي صعاب.

شاركت يسرا في دورة الألعاب الأولمبية في ريو وكانت من أهم الرياضيات اللاتي لفتن أنظار العالم واهتم بها الإعلام الدولي بكافة صوره.

وأدرك الجميع أن مواقف هذه الفتاة وكلماتها أكبر كثيرًا من عمرها الصغير.

يسرا الآن مستمرة في العمل والتدريب الشاق بدعم من والدها وكامل أسرتها التي انضمت إليها في برلين، وتتطلع لأن تحقق إنجازًا ملموساً في دورة الألعاب الأولمبية القادمة في طوكيو عام 2020. وهي مستمرة كذلك في تقديم صورة مشرفة للفتاة السورية المكافحة، والرياضية المثابرة الناجحة.



للنقاش

1- لماذا تركت يسرا وطنها؟ وما معنى اللجوء؟

2- في رأيك ما الذي دفع يسرا إلى المخاطرة بالقفز إلى الماء وسحب القارب؟

3- كيف تغيرت شخصية يسرا خلال رحلة الهرب بعيدا عن الحرب؟

4- بمَ تصف/تصفين حرص يسرا على الاستمرار في ممارسة السباحة بعد وصولها إلى ألمانيا؟

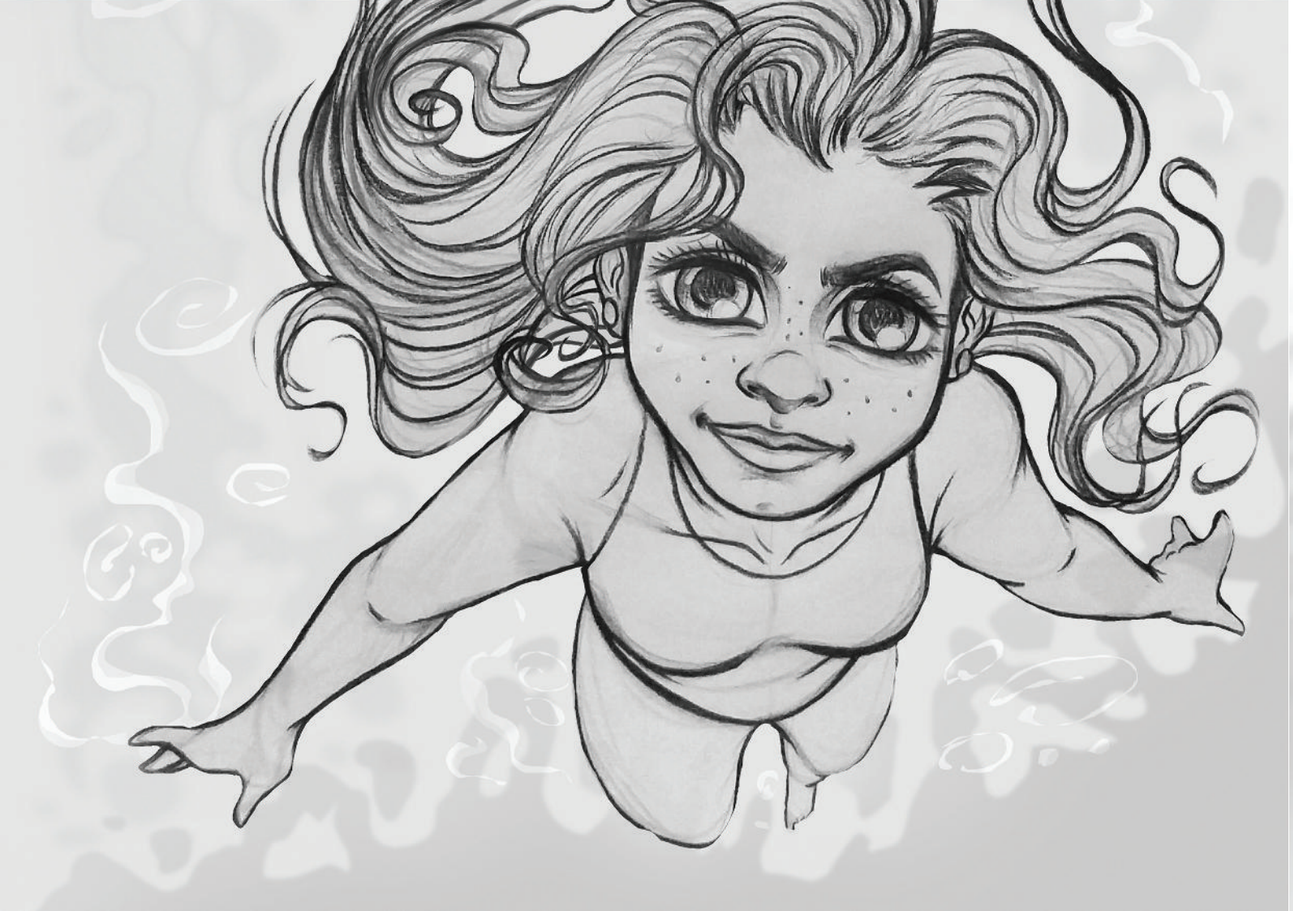
5- رغم الظروف الصعبة.. لم تتخلَ يسرا عن حلمها. كيف تصف/تصفين ذلك، وماذا ستفعل/ستفعلين لو كنت مكانها؟

6- للرياضة فوائد كثيرة، في رأيك كيف ساعدت الرياضة بطلة القصة على تخطي محنتها؟

7- ما المخاطر التي يتعرض لها اللاجئ في رحلة الهرب وفي بلد اللجوء؟

8- هل هناك لاجئون في وطنك؟ كيف يمكنك أن تساعدهم/تساعديهم حتى يتغلبون على الإحساس بالحزن والغربة؟

9- ما حلمك الخاص؟ كيف ستعمل/ستعملين على تحقيقه؟





تأليف: د. هند الشلقاني
رسوم: حنان الكرارجي